

## 217157 - تفسير قوله تعالى : ( سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )

### السؤال

ما هو تفسير الآية قبل الأخيرة من سورة فصلت : "سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" ؟ هل المقصود بها أن الكافرين سوف يعلمون أن الإسلام هو الدين الحق قبل موتهم وعليه لن يكون لأحد أي عذر يوم القيامة ؟ وما صحة الحديث الوارد في مسند أحمد عن امتحان الله لكل من لم تبلغه رسالة الإسلام ؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله عز وجل : ( سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ) فصلت/ 53.  
الآفاقُ هي النُّوَاحِي ، مفردُها (أُفُقٌّ) و (أُفُقٌّ) .

ومعنى الآية الكريمة : أن هذا وعد من الله تعالى أنه سيكشف للناس عن آياته في نواحي السموات والأرض وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ويثقوا أن القرآن حق أنزله الله تعالى .

وقد اختلف المفسرون في معنى مفردات الآية اختلافا لا يضر بالمعنى ، بل الآية تحتل جميع ما قالوه إذا لا منافاة بينه .  
فبعض المفسرين فسر الآفاق بأنها آفاق السموات ، وبعضهم فسرُها بأنها آفاق الأرض ، وبعضهم فسرُها بالمعنيين بأنها آفاق السموات والأرض .

وأما قوله تعالى : ( وَفِي أَنْفُسِهِمْ ) فبعضهم حملها على أنها خطاب لأهل مكة الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بذلك يوم بدر وفتح مكة ، فقد كان ذلك آية من الله تعالى على أنه يؤيد نبيه وينصره على أعدائه مع قلة عدد أصحابه وعتادهم ، مما يدل على أنه رسول الله حقا . وأن ما جاء به هو من عند الله حقا . وفسرها آخرون بأن المراد بها نفس الإنسان على سبيل العموم ، في كمال خلقتها وبديع صنع الله تعالى فيها ، مما يدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته .. إلخ .  
والآية أيضا : صالحة لهذا المعنى وذاك ، إذا لا منافاة بينهما .

وقد صدق الله تعالى وعده فكشف للناس عن آياته في الآفاق وفي أنفسهم خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد ، مما يتبين به لكل عاقل منصف أن هذا الإسلام حق ، وأن القرآن حق .

وما يزال الله تعالى يكشف للناس كل حين عن آيات جديدة ، وسيستمر ظهور هذه الآيات حتى تنتهي الدنيا ، فإن الإسلام إنما جاء لجميع البشر إلى قيام الساعة ، فناسب ذلك أن تكون آياته ومعجزاته باقية إلى قيام الساعة .

وهذه أقوال بعض المفسرين في الآية :

قال القرطبي رحمه الله :

" قَوْلُهُ تَعَالَى : ( سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا ) أَي : عِلَامَاتٍ وَحَدَانِيَّتِنَا وَقُدْرَتِنَا ( فِي الْآفَاقِ ) يَعْنِي : خَرَابَ مَنَازِلِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ( وَفِي أَنْفُسِهِمْ ) بِالْبَلَايَا وَالْأَمْرَاضِ .

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ( فِي الْآفَاقِ ) آيَاتُ السَّمَاءِ ( وَفِي أَنْفُسِهِمْ ) حَوَادِثُ الْأَرْضِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : ( فِي الْآفَاقِ ) فَتَحُ الْقُرَى ، فَيَسَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْصَارِ دِينِهِ فِي آفَاقِ الدُّنْيَا وَبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ عُمُومًا ، وَفِي نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ خُصُوصًا مِنَ الْفُتُوحِ الَّتِي لَمْ يَنْيَسِرْ أَمَثَالُهَا لِأَحَدٍ مِنْ خُلَفَاءِ الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ ، وَمِنْ الْإِظْهَارِ عَلَى الْجَبَابِرَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ وَتَغْلِيْبِ قَلِيلِهِمْ عَلَى كَثِيرِهِمْ ، وَتَسْلِيْطِ ضِعْفَائِهِمْ عَلَى أَقْوِيَائِهِمْ ، وَإِجْرَائِهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ أُمُورًا خَارِجَةً عَنِ الْمَعْهُودِ خَارِقَةً لِلْعَادَاتِ ( وَفِي أَنْفُسِهِمْ ) فَتَحُ مَكَّةَ ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الطَّبْرِيِّ ، وَقَالَ عَطَاءٌ وَابْنُ زَيْدٍ : ( فِي الْآفَاقِ ) يَعْنِي أَقْطَارَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَغَيْرِهَا ...

( وَفِي أَنْفُسِهِمْ ) مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ حَتَّى سَبِيلِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَشْرَبُ وَيَأْكُلُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ وَيَتَمَيَّزُ ذَلِكَ مِنْ مَكَانَيْنِ ، وَبَدِيعِ صَنْعَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَيْنِيهِ اللَّتَيْنِ هُمَا قَطْرَةٌ مَاءٍ يَنْظُرُ بِهِمَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَفِي أُذُنَيْهِ اللَّتَيْنِ يُفَرِّقُ بِهِمَا بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ بَدِيعِ حِكْمَةِ اللَّهِ فِيهِ . ...

( حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ) فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَوْجُهُ : أَحَدُهَا : أَنَّهُ الْقُرْآنُ ، الثَّانِي : الْإِسْلَامُ جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، الثَّالِثُ : أَنْ مَا يُرِيهِمُ اللَّهُ وَيَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ ، الرَّابِعُ : أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الرَّسُولُ الْحَقُّ " انتهى " تفسير القرطبي " (15/ 374-375).

وهذه الأوجه الأربعة كلها حق ، وكلها متلازمة ، غير أن الظاهر أن المراد بالآية القرآن الكريم ، فإنه قد أشير إليه في الآية التي قبلها : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) فصلت/ 52 ، " مدارج السالكين " لابن القيم (3/466) .

وقال ابن كثير رحمه الله :

" أَي : سَنُظْهِرُ لَهُمْ دَلَالَاتِنَا وَحُجَجَنَا عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلَالَتِلْ خَارِجِيَّةٍ ( فِي الْآفَاقِ ) ، مِنَ الْفُتُوحَاتِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ .

قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَالْحَسَنُ ، وَالسُّدِّيُّ : وَدَلَالَتُهُ فِي أَنْفُسِهِمْ ، قَالُوا : وَقَعَةُ بَدْرٍ ، وَفَتْحُ مَكَّةَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ ، نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ ، وَخَذَلَ فِيهَا الْبَاطِلَ وَجَزَيْهِ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَالْأَخْلَاطِ وَالْهَيْئَاتِ الْعَجِيبَةِ ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَكَذَلِكَ مَا هُوَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ ، مِنْ حَسَنِ وَقَبِيحٍ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ ، وَقُوَّتِهِ ، وَحِيلِهِ ، وَحَذَرِهِ أَنْ يَجُوزَهَا ، وَلَا يَتَعَدَّهَا " .

انتهى من " تفسير ابن كثير " (7/ 187) .

وقد جمع بعض المفسرين بين كل ما قيل في معنى الآية إذ لا منافاة بينه كما سبق .

قال السعدي رحمه الله :

"إن قلت - أيها الكافرون - أو شككت بصحته وحقيقته - يعني القرآن - فسيقم الله لكم ، ويريك من آياته في الآفاق كآيات التي في السماء وفي الأرض ، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة ، الدالة للمستبصر على الحق . (وفي أنفسهم) مما اشتملت عليه أبدانهم ، من بديع آيات الله وعجائب صنعته ، وباهر قدرته ، وفي حلول العقوبات والمثلثات في المكذبين ، ونصر المؤمنين ، (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات ، بياناً لا يقبل الشك (أَنَّهُ الْحَقُّ) وما اشتمل عليه حق . وقد فعل تعالى ، فإنه أرى عباده من الآيات ، ما به تبين لهم أنه الحق ، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء ، والخاذل لمن يشاء " انتهى من " تفسير السعدي " (ص 752) .

وقال محمد الأمين الشنقيطي في " أضواء البيان " (68-7/67) :

" قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ) غافر/14 ، ما ذكره جل وعلا في هذه الآية من أنه هو الذي يُري خلقه آياته ، بينه وزاده إيضاحاً في غير هذا الموضع ، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم ، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق ، كما قال تعالى : (سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) [ فصلت : 53 ] .

والآفاق جمع أفق وهو الناحية ، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعته ، وعجائبه ، في نواحي سماواته وأرضه ، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده . من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال ، والدواب والبحار ، إلى غير ذلك . وبين أيضاً أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئاً منها تسخيرها لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها ، وينتفعوا بألبانها ، وزبدتها وسمونها ، وأقطها ويلبسوا من جلودها ، وأصوافها وأوبارها وأشعارها ، كما قال تعالى : ( الله الذي جَعَلَ لَكُمُ الْإِنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ) [ غافر : 7980 ] .

وبين في بعض المواضع ، أن من آياته التي يريها بعض خلقه ، معجزات رسله ، لأن المعجزات آيات ، أي دلالات ، وعلامات على صدق الرسل ، كما قال تعالى في فرعون ( وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ) [ طه : 56 ] وبين في موضع آخر ، أن من آياته التي يريها خلقه ، عقوبته المكذبين رسله كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط : ( وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) [ العنكبوت : 35 ] وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل إلخ : ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ) " انتهى .

ومع وضوح هذه الآيات إلا أن كثيراً من الناس لم يستعملوا عقولهم وأبصارهم وأسماعهم للتأمل في هذه الآيات من أجل الوصول إلى الحق ، فكانوا كما وصفهم الله (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف/179 .

وكثير من الناس ظهر لهم الحق ولكنهم عاندوا وجحدوا ، إما حسداً ، وإما خوفاً على مناصبهم ودنياهم .. أو لغير ذلك من الأسباب . كما كان أئمة الكفار في مكة كأبي جهل وغيره يقرون للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدق والنبوة ، ولكنهم كانوا يظهرون خلاف ذلك بألسنتهم ، قال الله تعالى عنهم : ( فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) الأنعام/33 .

ومع وضوح هذه الآيات أيضا ، إلا أن هناك من الكافرين من لم تبلغهم دعوة الإسلام ، أو كانوا معذورين ، كفأقد العقل ، أو من مات صغيرا قبل أن يعقل ويكلف ، فهؤلاء هم الذي ورد في الأحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة .

روى الإمام أحمد (16301) ، وابن حبان (7357) ، والطبراني في "الكبير" (841) عن الأسود بن سريع ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا ، وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْدِفُونِي بِالْبَعْرِ ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ ، فَيَأْخُذُ مَوَاتِيْقَهُمْ لِيُطِيعَنَّهُ ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا ) وصححه البيهقي في "الاعتقاد" (ص169) ، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة" (1434) ، وقال الهيثمي في "المجمع" (216 /7): " رجاله رجال الصحيح " .

وانظر لمزيد الفائدة السؤال رقم : (98714) .

والله أعلم .